نظام السفارة عند العرب قبل الإسلام

د. محمد ضياء الحق *

السّفارة منذ القديم فنّ تحشد طاقات الشعب للدّفاع عن مصالحه الوطنيّة ولا تَتّجه الوجهة الصحيحة في دعم قوة الشّعب بدونها،وقد بلغت السّفارة في عصرنا الحاضر بعد التطوّر الذي شهدته عبر التّاريخ، درجة تفوق من حيث التقدّم والنّضج ما كان أمرها في بدايتها.

ولكن رغم ذلك فلا شك في أنّ السّفارة. بمعنى الإجراء المنظّم للعلاقات بين جماعة بشريّة معّينة وجماعة بشريّة أخير أجنبيّة عنها هي أقدم من التّاريخ (١) وعمرها ليس أقلّ من عمر الشّعوب ، فقد بد أ استخدامها منذ خلق الأرض وسيبقى إلى نهايتها . (٢)

فككلّ الشّعوب استخدمت العرب السّفارة ، واستطاعت بها أن تبني علاقات وتكون روابط بينها وبين الشعوب والقبائل الأخرى ، وهذا ما سنستعرضه بمزيد من التفصيل والدقّة في هذا البحث ، لكن قبل هذا يجب علينا معرفة مفاهيمها التي تقدّم فيما يلي :

المبحث الأول :

مفهوم السّفارة لغة واصطلاحاً

1- السفارة لغة

"السفارة" مصدر لفعل "سفر" ولهذا الفعل مفاهيم مختلفة منها قطع المرء لمسافة بعيدة (٣)، مثلا يقال "سفر يسافر سفرا بعيدا" (٤) ، كما تطلق هذة الكلمة

---

* استاذ مشارك · رئيس قسم · الفقه الاسلامي · جامعة العلامة اقبال المفتوحه · اسلام آباد

على الارتحال فيقال : "سفر الرجل أي خرج للارتحال" (٥) ، وقد قيل "السفر" بكسر السين وضم الفاء أي الكتاب الذي يسفر عن الحقائق، وقيل الكتاب الذي يبّين الشي ويوضّحه، ويطلق على الجزء من التوراة وجمعها أسفار(٦) ، ومن هذا كلمة "السفرة" ومعناها الوثيقة الخفيّة أو الوثيقة المكتوبة كما جاء في لسان العرب : "السفرة كتبة الملائكة الذين يحصون الأعمال(٧) ، وتطلق لغة على إيقاع الصلح بين القوم ، فيقال سفر بين القوم أي أصلح بينهم.(٨) وقد اشتقّ من لفظ السفارة "السفير" ، فقالوا السفيري، وسفير الأمة وسفير الممالك وسفير الملوك والسلاطين (٩)، وعرّفوه بأنّه الرسول المصلح بين القوم ، كفقيه وفقهاء (١٠)

مفهوم نظام السفارة اصطلاحا

كما أشرنا ، فإنّ السفير عند العرب هو الرسول والمصلح بين القوم ، وقد كان العرب في جاهليتهم إذا وقعت بينهم وبين غيرهم من القبائل حرب ، وأرادوا الصلح بعثوا عنهم ، وكذلك الحال أذا أرادوا المنافرة أو المفاخرة ، جعلوا من بينهم سفيرا إلى القبيلة الأخرى ليعلمهم بما استقرّ عليه الأمر وبما اشترط عليه من الشروط. (١١)

وكان عمر بن الخطّاب أحد سفراء قريش في الجاهلية ، وقد كانوا يبعثونه سفيرا إن وقعت بينهم وبين غيرهم حرب ، أو نافرهم منافر ، أو فاخرهم مفاخر منافرا أو مفاخرا ورضوا به. (١٢)

وبناء على ما تقدّم يمكن تعريف السفارة اصطلاحا بأنها بعثة وليّ الأمر لشخص معتمد من قبله إلى جهة معيّنة لمباشرة مهمّة معيّنة (١٣) وهذا التعريف لا يختلف عمّا نجده في مفاهيم الدبلوماسية ، ويمكن القول أنّ العرب استخدمت السّفارة بمعنى الدبلوماسية.

المبحث الثاني:

نشأة السفارة عند العرب في الجاهلية

البلاد العربية هي البلاد التي عرفها القدماء عادة باسم عربية Arbia (١٤) وكلّ من سكن جزيرة العرب ونطق بلسان أهلها فيسمّونه عربيا على اسم بلدهم(١٥)

اقتسم العرب جزيرتهم على خمسة أقسام هى تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن ، وأنّما سّميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها فصاروا في مثل الجزيرة من جزائر البحر .(١٦)

وقد جاور العرب الشعوب القديمة كاليو نان والرومان الذين اعتبروهم عموما برابرة (١٧) أي متوحّشين ، ويسمّونهم Saraceni أو "السراقية" ، وربّما كان اشتقاق كلمة "شرقيين" من هذه الكلمة الأخيرة. (١٨)

أمّا الفترة التي يطلق عليها لفظ "الجاهيلة" (١٩) فهى فترة ما قبل الإسلام ، وقد كانت مدينة تحتل مقاما مقدّسا في الجاهلية أيضا ، وتسمّى أيضا "بكة" (٢٠)

وقد مارس العرب السلطة في شكلها البدائي في مكّة ، فقد كان شيخ القبيلة بمثابة رئيس الدولة الذى يدير شؤونها المالية القضائية والحربية والسياسية (٢١) وكانت السفارة وظيفة معروفة في سلطة مكّة ، إذ كانت تتولّى تمثيل القبيلة في شؤون الصلح بعد القتال ، أو التفاوض مع سائر القبائل ، وقد كانت هذه الوظيفة خاصة ببنى عديّ وهم من بطون قريش (٢٢) وقد تولّى عمر بن الخطّاب هذه الوظيفة قبل الإسلام (٢٣) وسفر في مهمّته الدبلوماسية إلى الشام والعراق لتمثيل قريش عند كثير من ملوك العرب والعجم (٢٤)

فالعرب قد عرفوا نظام السفارة مع غيرهم من القبائل والأمم والشعوب

المجاورة ، واستخذموه في تنظيم علاقاتهم فيما بينهم ومع غيرهم ، فكان من الطبيعي أن تكثر الوفادات والسفارات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بوصفها وسيلة ليس ثمة بديل عنها للخروج من عزلتهم فى شبه الجزيرة ، ولتبادل المنافع مع جيرانهم ، وخاصة في الشرق حيث كانت مملكة الغساسنة الموالية للروم ، فضلا عن حاجتهم لكسب الدعم والنصرة في المعارك الضارية التى كانت تنشب بين القبائل ، أو لوقف هذه المعارك.(٢٥)

ومن سفارات العرب المشهورة في الجاهلية سفارة عبد المطّلب بن هاشم (ت نحو 45 ق.هـ/579 م) إلى أبرهة وهو في طريقه إلى مكّة قاصدا هدم الكعبة بيت اللّه الحرام مرفوقا بالفيل المشهور ، وعندما سمعت العرب بخروجه عظّموه ورأوا الجهاد حقّا عليهم ثم عرفوا أنّهم لا يقدرون على هذا (٢٦) ، وقد أصاب أبرهة مائتي بعير لعبد المطّلب ولّما ذهب هذا بسفارة من رجال قريش إلى أبرهة وقدّم أموالا إلى أبرهة على أن يرجع عليهم ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم (٢٧)، وخلال المفاوضات التي دارت بين عبد المطّلب وأبرهة سأله أبرهة عن حاجته ، فقال له حاجتي أن يردّ عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي، فاستغرب أبرهة من كلام عبد المطّلب عندما قال : "إني أنا ربّ الإبل وإنّ للبيت ربّا سيمنعه" ، قال أبرهة ما كان ليمنع منيّ ، قال عبد المطّلب : "أنت وذاك". (٢٨)

وقد تعّرض القرآن الكريم إلى قصّة أبرهة ونهاية أحداثها حيث يقول جلّ شأنه في سورة الفيل :

﴿ ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارةٍ من سجّيل ، فجعلهم كعصفٍ مأكول﴾ (٢٩)

ولا تزال تحتفظ لنا مقبرة مأرب Marib بالنقوش التي تفيدنا بقدوم

سفارات التهنئة على أبرهة من شتّى الأمصار والممالك سنة 543 ميلادية (٣٠)، وقد كان هدف هذه السفارات كسب الأنصار كما جاء في هذه النقوش بعد ذكرها : "جميعهم طلبوا مودّتنا بقوّة من لدن الرّحمٰن". (٣١)

المبحث الثالث:

أغراض السفارة عند العرب في الجاهلية

كانت السفارة تهدف إلى الأغراض التالية في الجاهلية:

1) كسب الأنصار والتعاون الدولي

استخدم العرب السفارة لكسب الأنصار وحشدهم زمن الحروب، وقد أدّت السفارة أثناء الحرب وعقبها مهامّ عديدة حيث تدعو الحاجة إلى تسوية ما نجم عن تلك الحروب من مشكلات مثل تبادل الأسرى ودفع الديات وتنظيم شؤون الهدنة أو السلم والأمن، وغير ذلك من الأمور. (٣٢)

وقد كان لتراث مملكة سبأ اثر كبير ساعد على ازدهار السفارات ودخول العرب في علاقات ودّية مع جيرانهم، فقد حقّقت مملكة سبأ اليمنية انتصارات كبيرة غير مسبوقة عند العرب حيث كانت الظروف الدولية تسمح بذلك التوسّع على حساب الكيانات المجاورة الضعيفة التي لم تقدر على ايقاف هذا الزحف والتوسّع، ويذكر لنا القرآن ثراء هذه الدولة وعمرانها الكبير، حيث يقول المولى جلّ ذكره :

﴿ لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتّان عن يمين وعن شمال، كلوا من رزق ربّكم واشكروا له، بلدة طيبّة وربّ غفور﴾ (٣٣)

غير أنّ هذه المملكة قد ضعف أمرها وتحلّل شأنها، فكان لذلك أثره الكبير

على المنطقة كلّها إذ شهدت حركة دبلوماسية نشطة لوضع نظام جديد ، وقد سعت القوى الموجودة آنئذ إلى كسب الأنصار والحلفاء ، كما سعت كل الدول للحصول على المساعدات الخارجية. (٣٤)

وإثر زوال هذه المملكة استعمل العرب السفارة لتدعيم التعاون الدولي وإقامة العلاقات السياسية مع الشام والروم حيث كانت الشام من ولايات دولة الروم(٣٥) ، بل إنّ ذراع الروم قد تجاوزت الشام حيث تشير بعض الروايات إلى أنّ الروم قد ساعدوا قصيّا بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تقلّد الحكم في مكّة (٣٦) فقد استعان قصيّ ببعض بطون قضاعة وحلفائها من الشام (٣٧) ، كما أنّ هناك تعاونا اقتصاديّا وثقافيّا يؤكّد عمق التعاون الدولي والصلات الوثيقة بين الشام والروم قبل الإسلام منها ما يروى عن وصول بعص تجّار الروم إلى مكّة في مقابل وصول تَجار مكّة إلى بلاد الروم ، ومنها استخدام قريش لبناء يقال بأنهّ رومي عندما أعيد بناء الكعبة على أثر سيل جارف قبيل البعثة النبوية (٣٨)

ولم تقتصر علاقات العرب على جيرانها الأقارب بل امتدّت إلى الهند ، فقد كان بين الحضارتين تعاون وثيق يؤكّده اقتباس العرب لعشرات من المصطلحات الهندية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية التي أخذت طريقها إلى اللغة العربية ، أيضا اشتهار أنواع من المنتجات الهندية عند العرب مثل أنواع الطيب وصناعة السيوف.(٣٩) كما نجد أنّ علاقات العرب قد امتدّت غربا إلى الحبشة حيث نجحت قريش في ربط علاقات تجارية مربحة مع الحبشة في زمن النجاشي الذي بارك هذه العلاقة وشجّعها (٤٠)

هذه بعض الأمثلة المبيّنة لدور السفارة عند العرب في ربط أواصر التعاون ودعم العلاقات الدولية مع غيرهم من الدول والشعوب المجاورة.

2) تطوّر التجارة الدولية

كان العرب أمّة تعيش على التجارة بالأساس ، لذا وظّفوا السفارة لدعم التجارة وتوسيعها وتطويرها ، وقد كانت التجارة مع الدول المجاورة تسير عبر الطرق البريّة نحو الشام ، والبحرية نحو الهند والسيلان والحبشة عبر الخليج (٤١) وقد استخدمت قريش السفارات في حماية هذه الطرق وتوفير سبل الأمان لها وتنظيم الرحلات. (٤٢) وتروى لنا الروايات أنّ هاشما بن عبد مناف (ت نحو 102 ق.هـ/524 م) سفر إلى ملوك الشام والروم وأقام معهم معاهدات صداقة وأمان لتجّار العرب(٤٣)، وسنّ الرحلتين المشهورتين رحلة الشتاء إلى الشام ورحلة الصيف إلى الحبشة (٤٤) وقد لقي هاشم قيصر الروم ، فلمّا سمع كلامه أعجبه ، قال له هاشم: "أيّها الملك إنّ لِتى قوما هم تّجار العرب ، تكتب لهم كتابات يؤمّنهم ويؤمّن تجارتهم حتى يأتوا بما يستطرف من إدم الحجاز وثيابه ففعل قيصر ذلك ، وانصرف هاشم" (٤٥) ولتوسيع حركة التجارة بعثت العرب عبد شمس بن عبد مناف إلى النجاشي وعبد المطّلب بن عبد مناف إلى ملوك حمير (٤٦) ، وبهذا نجحت قريش في توسع تجارتها باستخدام الدبلوماسية .

3) التهاني والتعازي

وكان من أغراض السفارة أيضا إرسال الوفود لتقديم التهاني أو التعازي ومن هذا النوع سفارة عبد المطّلب بن هاشم إلى سيف بن ذى يزن ملك حمير (75ق.هـ/549 م-50 ق.هـ/574 م) لتهنئته ، فكان من ذلك أن منحهم الأمان ، وردّ ملك حمير على هذه السفارة قائلاً : أنتم أهل الليل والنهار، ولكم الكرامة ما اقمتم والحباء إذا ظعنتم" (٤٧)وكذلك استخدم العرب السفارة للمفاخرات والمنافرات، وقد كانت بعض سفارات عمر بن الخطّاب لأجل هذا. (٤٨)

4) انعقاد الأحلاف داخل جزيرة العرب وخارجها

استعمل العرب السفارة في تمثيل القبيلة لدى القبائل الأخرى للتفاوض إلى الأتفاق وحلّ المشاكل العالقة والمنازعات وعقد الصلح بعد الحرب ، وكانت تسمّي هذه الاتّفاقيّات الحلف (٤٩) مثل حلف الفضول (٥٠) وكذلك الإيلاف الذي ابتكرته قريش(٥١) وقد استعمل القرآن الكريم هذا المصطلح كما جاء في قوله تعالى

﴿ لإيلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ (٥٢)

فقد دخل قريش في إيلاف مع ملوك اليمن والحبشة والروم عندما بعثت أبناء عبد مناف هاشما وعبد شمس وعبد المطّلب إليهم (٥٣)

كذلك دخل العرب في التحالف القبائلي (٥٤) ، وكان من عادتهم عند إمضاء الاتفاقيّات تنظيم الحفلات ومن طقوسهم صبّ الدم في الخمر قبل الشرب (٥٥) كما كانت تشعل النار بعد إقامة المعاهدة وتسمّى نار الحلف (٥٦) ، ويبدو أن نظام التحالف قد استمرّ في مكّة حتى عصر الرسول عليه السلام حيث كانت هناك ثلاث فئات قرشية متنافسة هي كما يلي :

فئة أولى تضمّ بني هاشم والمطّلب وزهرة وتيم والحارث بن فهر وعديّ ، وفئة ثانية تضمّ بني عبد شمس ونوفل وأسد وعامر وفئة ثالثة تضمّ بني مخزوم وسهم وجمح وعبد الدار ، ويمكننا أن نلاحظ أنّ الفئة الأولى كانت تتضمّن جماعة حلف الفضول كما أنّ كانت بين الفئتين الثانية والثالثة علاقات ودّية ومصلحة مشتركة (٥٧)

وقد كانت الأحلاف تكتب وتمزّق إلى جزئين ، وكان كلّ فريق يأخذ جزءا حتى لا يغيّر أيّ واحد شيئا من الحلف ، وأحيانا كانت المعاهدة تعلّق على باب الكعبة كما هو الشأن في معاهدة قطع العلاقات الاجتماعية ضدّ المؤمنين من أسرة الرسول عليه السلام التي علّقت على باب الكعبة (٥٨)

ومن أقوال العرب عند الحلف والجوار : "دمي دمك وهدمي هدمك ، أي ما هدمت من الدماء ، هدمته أنا" ، ويقال أيضا: "بل اللّدم اللّدم والهدم الهدم".(٥٩)

ومن اشهر الأحلاف حلف "المطيبين" الذي انعقد بين قريش بعد موت قصيّ بن كلاب لتقسيم وظائف سلطة مكّة (٦٠) ، وحلف الفضول الذي اتّفقت عليه بنو هاشم و بنو عبد المطّلب وآخرون بعد حرب الفجار وقد شهد الرسول ﷺ هذا الحلف. (٦١) فكانت هذه الاتّفاقيّات نتيجة المجهودات الدبلوماسية التي وفدت لأجلها السفارات. هكذا أدّت السفارة دوراً حيويّا لا نعقاد المعاهدات وإبرام الاتّفاقيات وتنشيط العلاقات بين الدول والقبائل في كافة مناحي الحياة.

المبحث الرابع:

قوانين نظام السفارة عند العرب في الجاهلية

استمدت السفارة عند العرب قوانينها و مضامينها وجميع ملابساتها من ثوابت اجتماعية واقتصادية وثقافية تميز بها العرب عن غيرهم بحكم موقعهم الجغرافي وتاريخهم الاجتماعي. كان نظام السفارة في الجاهلية مبنيّا على بعض القوانين التي كانت القبائل تلتزم بها ، وكان السفراء يزوّدون بها قبل إرسالهم في مهمّة ، فقد روى الواقدي (ت 207 هـ/822 م) أنّ قريشا في الجاهلية كانت إذا أرسلت رسولا إلى بعض الملوك قالت له:

"احفظ شيئا : انتهز الفريصة فإنّها خلسة ، وبت عند رأس الأمر لا ذنبه وإيّاك وشفيعا مهينا فإنّه أضعف وسيلة وإيّاك والعجز فإنّه أوطأ مركب وعليك بالصبر فإنّه سبب الظّفر ولا تخض الغمر حتى تعرف القدر"(٦٢)

وقد مارس نظام السفارة عند العرب مهمّاته بناء على القوانين التالية :

❶ أمان الرسل

عرف العرب في الجاهلية حصانة الرسل والسفراء فكان السفير آمنا في القبيلة التي يرسل إليها ودون إذن منها ، كما يقول السرخسي (ت 483 هـ/1090) : "إنّ الرسل لم تزل آمنة في الجاهلية والإسلام" (٦٣)وكذلك عرف العرب نظام الأمان لبعض الأمكنة حيث أن من دخلها كان آمنا. (٦٤)

❷ ضيافة السفراء

ساعدت روح الضيافة المعروفة عند العرب السفراء على أداء مهامّهم ، فهذه الروح قد ضمنت للسفير الراحة بعد طول سفر في الصحراء القاسية ، وقد كانت هذه الصفة من مفاخر العرب ومناقبها ، وقد قال النعمان بن المنذر(ت323 ق هـ/312م) في مجلس كسرى في ذكر أوصاف العرب : "فإنّ أدناهم رجلا الذي تكون عنده بكرة والناب عليها بلاغه في حموله وشبعه وريّة ، فيطرقه الطارق الذي يلتقي بالفلذة ويحتذي بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دنياه كلّها فيما يكسبه حسن الأحدوثة وطّيب الذكر" (٦٥)

❸ تكوين الوفود

كانت العرب يوفدون الوفود في المناسبات العديدة ، وقد ساعدت هذه الفرص على تكوين الزعماء والشيوخ والرجال الكبار المتمرّسين ، وكانت القبائل تنيبها عن نفسها لدى الملوك ، وقد مثّلها منهم وفود إلى ملوك الحبشة والشام وغيرهما.

❹ الأشهر الحرم

تعتبر الأشهر الحرم مناسبة كبيرة لتكثيف التحرّكات الدبلوماسية ، وقد

استطّت العرب هذه الفرضة المتميّزة بالسلم والأمان حيث يحرم القتال فيها وتضع الحرب أوزارها ويتخلّص كلّ شخص من سلاحه دون خوف أو حيطة. (٦٦)

❺ احترام المعاهدات

كان العرب يحترمون المعاهدات وكان وفاؤهم بها مشهورا في الجاهلية ، فإنّ أحدهم يلحظ اللحظة يومي الإماء ة فهي ولث (أي عهد) وعقدة لا يحلّها إلاّ خروج نفسه ، وإن أحدهم ليرفع عددا من الأرض فيكون رهنا بدينا فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمّته ، وإنّ أحدهم ليبلغه أنّ رجلا استجار به ، وعسى أن يكون نائبا عن داره ، فيصاب ، فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما خفر من جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله. (٦٧)

الوفاء بالمعاهدات من أخلاق العرب التي كانو يتمدّحون بها ويعيبون من خالف الوفاء بالعهد ، فقد كان العهد عندهم دينا يتمسّكون به ويستهينون في سبيل الوفاء به قتل أولادهم و تخريب ديارهم. (٦٨)

❻ فض النزاعات بالتحكيم

كان التحكيم من قوانين الدبلوماسية العربية قبل الإسلام ، وقد كان رئيس القبيلة أو كاهنها يتولّى مهمّة التحكيم في صورة النزاع الداخلي ، وإن كان النزاع بين القبائل فيلجأ إلى أهل الشرف والصدق والأمانة والرئاسة والسنّ والمجد والتجربة (٦٩) للتحكيم ، وقد ترك هؤلاء الحكماء أمثلة في الحكم بالعدل والإنصاف.(٧٠)

ومن أمثلة التحكيم العربي ما وقع في حرب داحس والغبراء التي نشبت بين قبائل عبس وقبائل ذبيان ، وقد قتل فيها كثير من الناس ، فسعت القبائل المتحالفة

إلى الصلح وأرسل السفراء بينها حتى اختتمت الحرب بالتحكيم (٧١) ويمكن اعتبار حكم محمد بن عبد الله ﷺ في قضيّة وضع الحجر الأسود عند إعادة بناء الكعبة مثالا نادرا في التاريخ الدبلوماسي عند العرب. (٧٢)

وتحكي لنا المصادر أنّ الرسول ﷺ لّما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره، حين جدّدت قريش بناء الكعبة، فقد اختلفت قبائلها فيمن يضع الحجر الأسود مكانه ثم اتّفقوا على أن يحكم في هذا أوّل من يدخل من باب بني شيبة، فكان رسول اللّه ﷺ أوّل داخل عليهم، فلمّا رأوه قالوا "هذا الأمين، رضينا، هذ محمد ولو أراد محمد أن يستأثر بهذا الشرف لنفسه لكان ممكنا، ولكّنه طلب ثوبا، وأخذ الحجر ووضعه فيه بيده ثمّ قال: (تأخذ كلّ قبيلة بناحية من الثوب، ثمّ ارفعوا جميعا)، ففعلوا حتّى إذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثمّ بنى عليه. (٧٣)

ويعتبر أسلوب الدبلوماسية الذي اختاره محمد ﷺ للتحكيم في هذه القضيّة مثالا نادرا في تاريخ الدبلوماسية (٧٤)

وخلاصة القول أنّ السّفارة وسيلة الصّلح بين النّاس، كما كانت أداة التمثيل لدى القبائل الأخرى، وعرفتها العرب منذ فترة طويلة، واستخدمتها لأغراض شّتى، وكانت تكوّن السّفارات من نخبة الرّجال، وقد حقّقت العرب باستخدامها نجاحات بارزه ووضعت لأجلها قواعد مختلفة.

الخاتمه

بعد تقديم تفاصيل حول السفارة عند العرب في الجاهليّة وصلنا بحمد اللّه وتوفيقه إلى عدّة نتائج. أقدّمها فيما يلي:

① السّفارة بعثة ولّي الأمر إلى جهة معّينة لمباشرة مهمّة معّينة.

② كانت السّفارة من وظائف السلطة التي عرفتها العرب في الجاهليّة وكانت خاصّة ببني عديّ.

③ بعثت العرب سفارات عدّة في الجاهلية لتنظيم علاقاتها مع الجيران ولتبادل المنافع معهم.

④ استخدمت العرب السفارات لكسب الأنصار وعقد التحالفات العسكريّة.

⑤ استخدمت العرب السّفارات لتوسيع حركة التجارة وحماية طرقها.

⑥ وقد كانت السّفارات تبعث لتقديم التهاني أو التّعازي.

⑦ عرفت العرب في الجاهليّة نظام أمان السّفراء ، كما كانوا يهتمّون بضيافة السّفراء وتكوين الوفود لكي تؤدي السّفارات مهمّاتها في أحسن الأحوال.

⑧ الأشهر الحرم كانت لديهم فرصة لتكثيف مجهودات دبلوماسية كما كانت المعاهدات محترمة عندهم ، وكان يلجؤون إلى التحكيم لفضّ نزاعاتهم دون الحرب.

الهوامش

١. مشعان (محمدالدعيج)، فصول في الدبلوماسية، (المطبعة العربية الحديثة، القاهرة 1982 م)، ص ١٩.

٢. R.Redsiede, "Histoire des Grands Principes du Droit des Gens". (Paris,1923),P:79.

٣. الزبيدي (محمدمرتضى) (ت1205 هـ/1790 م)، تاج العروس (دار اليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي 1966 م)، فصل السين من باب الراء :271/3.

٤. الزمخشري (جار اللّه أبو القاسم) (ت538 هـ1143 م)، أساس البلاغة (داربيروت للطباعة والنشر، بيروت 1965 م)، ص٢٩٧.

٥. النووي (أبو زكريّا يحيى بن شرف الخرامي)، (ت 676 هـ /1277 م)، تهذيب الأسماء واللغات (دارالكتب العلمية، بيروت):٣/ ١٤٩.

٦. الزبيدي، المصدر السابق :٣/ ١٥٥.

٧. ابن منظور، (محمد بن مكرم، ت 711 هـ/1311 م)، لسان العرب (دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت 1408 هـ/1988 م)، مادة سفر :٣/ ١٥٥.

٨. ابن منظور، م.ن : ٣/ ١٥٥.

٩. القلقشندي (أبو العباس محمد بن علي، ت821 هـ/1418 م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،(وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العامّة للتأليف والنشر،القاهرة):٦/٥٣.

١٠. الظّافر (القاسمي)، الجهاد والحقوق الدولية العامّة في الإسلام، (بيروت١٩٨٢م) ص٤٤٦.

١١. Bernard Lewis, "The Political Language of Islam" (The Unversity of Chicago Press, 1988),p:76.

١٢. ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، ت 463 هـ/1041 م) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق عادل محمد البحاوي، مكتبة نهضة مصر. القاهرة) :٣/ ١١٤٥.

١٣. انظر: حسن محمد سفر، السفارات في النّظام الإسلامي، مجلّة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد التاسع، ١٩٩١، ص١١٧.

١٤. انظر : Pling, "Natural History", London, 1949, p:2/259.

١٥. ياقوت (شهاب الدين إبو عبد الله ياقة ت بن عبد الله) ، معجم البلدان (دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت ١٩٥٧) :٤/ ٩٧.

١٦. انظر : ياقوت ، م،ن :٢/ ١٣٧.

Ameer Ali, "The Spirit of Islam", (Pakistan Publishing House, 1980), p:(Introduction) VII.

نيبه عاقل ، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي (جامعة دمشق ١٩٩١-١٩٩٢م) ص٢٤.

١٧. انظر: Nicolson Harlod,"Diplomacy",(III Edigion,London, 1969), p:9

عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية (مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة ١٩٦٨):١/ ٤٧.

١٨. أمير علي سيّد ، مختصر تاريخ العرب (القاهرة ١٩٣٨) : ١/ ٤.

١٩. يقصد بها الفترة التي سبقَت الإسلام عندما لم يكن لديهم كتاب ولم يبعث إليهم رسول ، وقد استعمل القرآن هذا المصطلع في مواقع متعدّدة مثلا : آل عمران: ١٤٨، المائدة :٥٥ ، الأحزاب :٣٣.

انظر: Al Ghunaimi (Muhammad Talaat),

"The Muslim Conception of International Law and Western Approach", Hague,1968, p:9.

٢٠. يذكر ابن هشام في السيرة النبوية أنّ بكّة اسم لبطن مكّة لأنّهم يتباركون فيها أي يزدحمون.

٢١. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة١٩٥٩م) ٥٣/١:

٢٢. الفوتي (محمد بللى ، السفارات في الجاهلية والاسلام ، مجلة الهدى الاسلامي ، العدد الأول ، السنة السادسة عشرة محرم ١٣٩٧هـ/ ١٠٧٧م ، ص٥٩ ؛ عدنان البكري ، العلاقات الدبلوماسية والقنصلية ، (بيروت ١٩٨٦م) ، ص ٢٨.

٢٣. ابن عبد البر ، الاستيعاب : ٣/ ١١٤٥

٢٤. المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، (الجزائر ١٩٨٩م) : ٢/ ٣٩٢

٢٥. حسن فتح الباب ، الحصانات الدبلوماسية في الإسلام ، مجلّة الأزهر ، الجز الأول ، السنة ٣٤، القاهرة ، يونيو ١٩٦٢م ، ص ١٩-٢٠

٢٦. ابن هشام ، م،ن : ١/ ٤٠ : ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل) ، السيرة النبوية ، ذار الفكر ، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م: ١/ ٣١

٢٧. ابن هشام ، م، ن :١/ ٤٤ : ابن كثير ، السيرة :١ ٣٤

٢٨. ابن هشام :١/ ٤٤

٢٩. الفيل :١-٥

٣٠. Hamidullah, "Muslim Conduct of State", (Lahore,1973), p:58

٣١. سموحي فوق العادة ، الدبلوماسية الحديثة (دار اليقظة العربية) ، ص١٧

٣٢. حسن فتح الباب ، السفارات الدبلوماسية في الإسلام ، (مجلة منار الإسلام ، العدد ٧ ، رجب ١٤١١هـ/ يناير ١٩٩١م) ، ص ٢٠.

٣٣. سورة سبأ:١٥.

٣٤. انظر تفصيل بعض التحركات الدبلوماسية : ابن هشام ، م،ن :١/ ٣١.

٣٥. الشبول (أحمد) ، علاقات الأمة الإسلامية في العصر النبوي مع بلاد الشام وبيزنطة الندوة العالمية : الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين (المملكة العربية السعودية ١٩٩٣) : ١/ ١٥٩.

٣٦. الأزرقي ، أخبار مكّة ، ص ٦٢-٦٣

٣٧. ياقوت ، معجم البلدان : ٥/ ١٨٦

٣٨. يرى بعض الرواة هذا البناو هو من أصل حبشيّ أو قبطي.
انظر التفاصيل : الأزرقي ،م،ن :١/ ١١٤

٣٩. انظر: الندوي (محمد اسماعيل) ، تاريخ الصلات بين الهند والبلدان العربية (دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت ، ص ٣٢-٣٣

٤٠. ابن هشام ، م،ن : ١/ ٢٧٠-٢٨٨

٤١. محمد علي الحسن ، العلاقات الدولية في القرآن (عمّان- الأردن ١٩٨٢م) ، ص٩٤.

٤٢. الدعيج : فصول في الدبلوماسية ، ص ٣٢.

٤٣. ابن هشام، م، ن:١/ ١٨٦: ابن سعد ، الطبقات الكبرى،(بيروت ١٩٧٠):١/ ٤٣ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب) ، التاريخ (بيروت ١٩٧٠م) :١/ ٢٨.

٤٤. ابن هشام ، م،ن :١/ ١٢٥؛ اليعقوبي ، م،ن : ١/ ٢٤٢.

٤٥. اليعقوبي، م،ن :١/ ٢٤٣.

٤٦. المسعودي ، مروج الذهب : ٢/ ٦٩ ؛ ابن كثير ، السيرة : ١/ ١٨٦.

٤٧. المسعودي ، مروج الذهب : ٢/ ٦٩ ؛ ابن كثير ، السيرة : ١/ ٣٣٥.

٤٨. ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد) ، سيرة عمر (المطبعة المصرية بالأزهر) ، ص٩

٤٩. Al.Ghunaimi Muhammad Talaat, "The Muslim Conception of Ineternational Law", p:18

٥٠. ابن هشام ، م،ن :١/ ١٢٣.

٥١. Hamidullah,Ibid, p:56.

٥٢. سورة قريش :١-٢

٥٣. ابن سعد ، م،ن :١/ ٧٧

٥٤. ويمكن تشبيه هذا تحالف القبائل بالسوق الأروبية المشركة ، انظر: AL Ghunaimi,Ibid, p:190.

٥٥. اليعقوبي ، م،ن :١/ ٢٨٨

٥٦. القلقشندي ، صبح الأعشى : ١/ ١٠٤

٥٧. "Wati.W.Montgomery, Muhammad at Mecca", (Oxford University Press 1953), p:7.

٥٨. ابن هشام ، م، ن :٢/٣ .

٥٩. ابن هشام ، م ، ن : ٢/ ٦٤.

٦٠. ابن هشام ، م ، ن : ١/ ١٢١-١٢٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل : ١/ ٤٥٣

٦١. ابن هشام ، م ، ن : ١/ ١٢٤.

٦٢. ابن الفرّاء (أبو علي الحسين بن محمد) ، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة ، (تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٧م) ، ص ٢٨.

٦٣. السرخسي (شمس الدين محمد بن أحمد) ، كتاب المبسوط (مطبعة السعادة. مصر١٣٢٤هـ:١/ ٩٢.

٦٤. زناتي محمود سلام ، نظم العرب (الطبعة الأولى) : ١/ ٢١٦.